

الهجرات من داخل شبه الجزيرة العربية إلى خارجها

(العناصر:

- المصريون.
- الأكديون.
- الآشوريون والكلدانيون.
- البابليون.
- الأموريون.
- الكنعانيون.
- الأراميون.
- العبرانيون.
- الأنباط.
- التدمريون.
- العرب المسلمون.

(الاهراف:

- 1- التعرف على الهجرات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية.
- 2- معرفة الظروف المحيطة بالهجرات السابقة وأسبابها.
- 3- التأكيد على أن شبه جزيرة العرب كانت مستودع لعناصر سكانية حضارية.

تابع سلسلة محاضرات مُقرر/ تاريخ العرب القديم وحضارته - الفرقة الأولى - قسم التاريخ
للأستاذ الدكتور/ عبد المنعم مجاهد

مصادر التعلم:

أولاً: المحاضرة.

ثانياً: الكتاب المُقرر.

ثالثاً: بعض المراجع ذات الصلة، ومنها مثلاً وليس حصراً:

- أحمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسوريين، بغداد،
1980

- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دمشق، 1982.

- جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، بيروت، 1968.

- حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، 1993.

- سعد زغلول، في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، 1975.

- سليمان حزين، التغير التاريخي للمناخ والطبيعة في بلاد العرب
الجنوبية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد 3، قسم 1، مايو
1945.

تعتبر شبه الجزيرة العربية خزان طارد للبشر؛ وذلك لطبيعتها المناخية القاسية، لذلك فقد خرجت منها موجات من الهجرات البشرية، وفيما يلي تلخيص لهذه الهجرات من حيث توقيتاتها المُحتملة، ووجهاتها، فضلاً عن المُسميات التي عُرفت بها كل مجموعة من هذه المجموعات المهاجرة.

1- المصريون: ربما كان للهجرات السامية أثرها في تكوين الشعب المصري منذ أيام فجر التاريخ، إذا فرضنا صحة وقوع هجرات سامية إلى مصر في هذه العهود البعيدة، فيبدو أن أول هجرة للساميين حدثت في الألف الرابعة قبل الميلاد سالكة الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية، مُنطلقة نحو الشمال إلى سيناء فوادي النيل، حيث امتزج أفرادها بالعرق الحامي، فتكون بذلك الشعب المصري، بدليل أن الباحثين قد وجدوا في لغة الشعب المصري في أول تكوينها خليطاً من كلمات سامية وأخرى حامية.

بل إن هناك من يرى أن الهكسوس الذين غزوا مصر في فترة من تاريخها هم أناس ساميون أتوا إليها من شبه الجزيرة العربية، وأنهم أثروا في اللغة المصرية القديمة تأثيراً عظيماً.

فقد اشتملت اللغة المصرية القديمة على الأسس الأولية المُشتركة أو التجانس فيما بينها وبين اللغة العربية، وبمفردات وفيرة من أسماء وأفعال، تتشابه أغلبها لفظاً ومعنى، ووصلت أعدادها حوالي مائة وخمسين لفظاً، دل أقدمها زمناً على عمق وجوده في اللغتين، ودل أحدثها زمناً على الأثر اللغوي لاتصال التعامل البشري والحضاري بين الشعبين.

ولقد أورد عبد الحليم نور الدين مجموعة كبيرة من المُفردات المصرية القديمة، وما يُقابلها في اللغة العربية الفصحى، وهو ما يؤكد على أن العنصر السامي كان أحد مكونات المجتمع المصري القديم. وتؤكد المُقارنة بين المفردات في كلا اللغتين (العربية والمصرية القديمة)، بل وكذلك كثير من نواحي الأجرومية بينهما، على عمق الصلات بين مصر وشبه الجزيرة العربية.

وعلى أي حال فإن التقارب في القواعد اللغوية لم يقتصر فقط على مُشابهة اللغة المصرية القديمة للصورة النهائية للغة العربية الفصحى، ولكن يُمكن تلمسه أيضاً في مُقاربتها للخط المُسند بلهجة السينية، وأعني به لهجة القبائل القتبانية والمعينية والحضرية والأوسانية، فكل من هذه القبائل قد استخدمت السين في صيغة السببية وكذلك كضمير للغائب، وهو ما يتشابه مع مثله في المصرية القديمة، فقد استخدم حرف السين للسببية، وكضمير للشخص الثالث المؤنث.

وهذا ما كان قائماً في اللغة المصرية القديمة حيث عبرت بحرف (س) تارة، ولفظة (سو) تارة أخرى عن ضمير الغائب المفرد المذكر، وعبرت بحرف السين أحياناً وكذلك لفظ (سي) أحياناً أخرى عن ضمير الغائبة، لاسيما في حالات المفعول به والإضافة.

وهذا ما وُجدَ مثله في نصوص معين وقتبان، وحضرموت، بل ولا زالت بعض قبائل الجنوب العربي تأخذ بمثله في لغاتها الدارجة، ويُقابل ذلك استعمال حرف الهاء ولفظ "هو"، وحرف الهاء أيضاً، ولفظ "هي" لهذين الضميرين في اللغة العربية الشمالية، وفي لغة سبأ وحمير.

كل ما سبق يُزكي نظرية كون الخط البروتوسينائي الأصل الأول للخط المُسند، وهو موضوع تمت مناقشته في فصل بهذا الكتاب تحت عنوان "اللغة العربية الجنوبية وخطها المسند".

2- الأكديون: ارتحل الأكديون حوالي منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد كذلك إلى بلاد الرافدين عن طريق بلاد الشام، وكونوا هناك الدولة الأكديّة التي وحدت العراق، وسيطرت على جميع أرجائه حتى أعالي نهر دجلة، وقد حل الساميون الأكديون فيها محل السومريين المتحضرين،¹ وذلك عندما أنهى "سرجون" الأكدي حكم آخر ملوك سومر المدعو "لوكال زاجيزي". واتخذ سرجون اسمًا جديدًا هو: "شاروكينو" ومعناه "الملك الشرعي"، كما اتخذ عاصمة جديدة أطلق عليها أكد، مكوّنًا بذلك أول مملكة سامية، وأكد Akkad أو Agade "أجاده" هذه اسم مدينة أسسها، أو قام بتجديدها "سرجون" في القرن التاسع والعشرين، أطلق اسمها على كل الإقليم الشمالي، وسُمي السكان بالأكديين.

3- الآشوريون والكلدانيون: ارتحلوا إلى بلاد الرافدين في الألف الرابعة قبل الميلاد كذلك، وتبعهم الكلدانيون، وربما وفدوا من الغرب، وليس من الجنوب على أساس أن غياب التأثير السامي في سومر في عصور مبكرة يشير إلى

¹ الاسم سومر هو اسم أطلقه الساميون - جيران السومريين - على إقليم السومريين، ولكنه في اللغة السومرية "كلم" Kalam بمعنى "القطر"، تمييزًا لها عن "كوركور" Kourkour أي "الأقطار"، وهو تعبير يُطلق بصفة عامة على كل العالم الأهل بالسكان، ولكن على الأخص على كل ما يخرج عن نطاق سومر من عالم خارجي. (ل. ديلاپورت 1997: 22).

أن الهجرات السامية لم تصل إلى بابل من الجنوب، ولكن من الشمال الغربي بعد مرورها بسواحل سوريا.

وعلى أي حال فالآشوريون فرع من الساميين، هاجروا من موطنهم الأصلي منذ العصور البعيدة في القدم، ثم استوطنوا الأقاليم الشمالية في بلاد الرافدين أيام العصر الأكدي أو قبل ذلك العهد؛ لأنها كانت أكثر خصوبة، وأصلح للزراعة والمرعى خلافاً لأقاليم الجنوب التي كانت مغمورة بماء البحر، وقد ظلت هذه الأخيرة زمناً طويلاً قبل أن ينحسر عنها الماء، حيث لم تكن تصلح فيها الأرض للسكن والزراعة.

ولما جفت عنها المياه، عمرها الناس، وقامت فيها المدن على أساس زراعي وتجاري، وعلى أي حال لم يظهر الآشوريون على مسرح السياسة، ويصبح لهم كيان إلا في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، فكونوا مملكة في شمال العراق من بين ملوكها "إيلو-شوما" الذي عاصر مؤسس أسرة بابل الأولى "سومو آبوم".

4- البابليون: هم قسم كذلك من الموجة المهاجرة السابقة اتجهوا إلى بلاد الرافدين حيث ألفوا سلالة بابلية عام 2100 ق.م، وهناك من يرى أنهم من الساميين الغربيين أي الآموريين، الذين كانوا مقيمين في بعض أقاليم سورية في الفرات الأوسط، وقد كونوا أسرة بابل الأولى، وكان أشهر ملوكها حمورابي، بينما كان مؤسسها هو "سومو آبوم".

5- الآموريون: مركزهم الأصلي كان في شمال سورية، وربما هاجر إليها الساميون عند أوائل القرن السادس والعشرين قبل الميلاد، وهم أول شعب

سامي رئيسي سكن في سورية، وتعني الجماعة التي تقيم في الغرب (الغربيين)، أما اسم البلاد "أمورو" فقد أطلقه البابليون على المناطق الواقعة إلى الغرب منهم؛ لهذا فهو يعني "بلاد الغرب"، ثم أطلق البابليون الاسم كله على سورية، كما سمو البحر المتوسط (بحر أمورو العظيم).

وكانت (ماري) هي العاصمة الأمورية، وتقع جنوبي مصب الخابور، وقبل أن يدخل "سرجون" السامي بلاد أمور، كانت ماري مركزاً لبعض الأسرات السومرية القديمة، وفي خلال الألف الثاني قبل الميلاد أصبحت ماري وما حولها أمورية، كما أقام الآموريون في المنطقة الوسطى من الفرات، كما احتلوا بلاد ما بين النهرين، وأسسوا أسرات حاكمة من آشور شمالاً حتى لارسا جنوباً، وذلك بين عام 2100 وعام 1800 ق.م. وأولها أسرة حمورابي، وهو الذي قام بفتح أمور.

6- الكنعانيون: ويرى "عبد الحميد زايد" أن قبائل المهاجرين الأول إلى بادية الشام وإلى شواطئ البحر المتوسط قد انحدرت إليها من بلاد الرافدين، ويذكر أنه غالباً أن القبائل العربية التي أقامت في منطقة فلسطين من شمالها إلى جنوبها وفدت إليها على الأرجح - وفقاً لوجهه نظره - من الشرق لا من الجنوب، فليس لدينا - على حد قوله - من دليل على هجرة كبيرة من طريق الحجاز أو شواطئ البحر الأحمر قبل دعوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأن بلد الحجاز هي واد غير ذي زرع، فليس فيه حشود كبيرة كافية لغزو تلك المنطقة (فلسطين).

وعلى أي حال فقد ارتحل الكنعانيون في حوالي 2900 ق.م إلى الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وإلى ربوع بلاد الشام الداخلية، حيث تفرع منهم الفينيقيون الذين سكنوا سواحل بلاد الشام، وذلك في شريط ضيق من الساحل الشرقي للبحر المتوسط يمتد من طرسوس إلى جبل كرمل، أما من الناحية الشرقية فتطل عليها سلسلة جبال لبنان.

وعلى أي حال فقد كان اسم كنعان يُطلق في أول الأمر على المنطقة الساحلية وكذلك على غربي فلسطين، ثم صار علمًا على فلسطين وجزء كبير من سوريا، وقد أطلق جماعة من الإغريق (وهم جماعة الميكانيين Mycenaeans الذين جاءوا للتجارة مع كنعان في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد) على الكنعانيين التسمية الفينيقيين، ثم قصرت هذه التسمية على الذين يسكنون على الساحل من الكنعانيين، وقد أُطلق على سكان كنعان في رسائل العمارنة التي تؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد والتي كتبت باللغة الأكادية Kinanu "كينانو" أو Kinahu "كناهو"

7- الأراميون: ارتحلوا من شبه الجزيرة العربية حوالي عام 1500 ق.م. واتجهوا إلى بلاد الشام، حيث حلوا في ضواحي الشام ومناطقها وفي منطقة البقاع، كما سكنوا دمشق، واستوطنت قبائلهم في أعالي بلاد ما بين النهرين ومنطقة الفرات الأوسط.

8- العبرانيون: حلوا في أراضي فلسطين إلى جانب الكنعانيين، وكلمة عبراني (فيما يرى نجيب ميخائيل) نسبة إلى "عابر" الذي ينحدر من سام أكبر أبناء نوح.

تابع سلسلة محاضرات مُقرر/ تاريخ العرب القديم وحضارته - الفرقة الأولى - قسم التاريخ
للأستاذ الدكتور/ عبد المنعم مجاهد

ويذكر "عبد الحميد زايد" أن العنصر الأول للشعب السامي الذي سكن منطقة الشام هو الآموريون، يتلوه الفينيقيون، أو الكنعانيون، وهم يمثلون العنصر الثاني للشعب السامي الرئيسي في سورية، أما الشعب الآرامي في سورية فهو الشعب السامي الرئيسي الثالث، بينما يمثل العبرانيون العنصر الرابع من الشعب السامي.

9- الأنباط: قدموا إلى شمال شبه الجزيرة العربية في حوالي عام 500 ق.م. حيث أقاموا حضارتهم في مدينة "البتراء" الواقعة إلى الشمال الشرقي من خليج العقبة، والتي اتخذوها عاصمة لهم.²

10- التدمريون: نزلوا في واحة تدمر إلى الشرق من مدينة حمص.³

11- العرب المسلمون : خرجوا في القرن السابع الميلادي، وانطلقوا نحو الشمال، حيث نشروا لواء الإسلام على كافة بلاد الشرق القديم وشمال إفريقيا، وامتدت سيطرتهم على قسم من جنوبي أوروبا.⁴

² راجع عن تاريخ الأنباط قبل الإسلام: جواد علي (المُفصل): ج3، 5-70؛ جرجي زيدان 1968: 85-97؛ توفيق برو 1982: 99-110؛ محمد بيومي مهران 1989: 493-523؛ عبد العزيز صالح 1992: 16-162؛ السيد عبد العزيز سالم 2000: 157-170؛ عبد المنعم عبد الحليم سيد 2001: 27-28؛ رمضان عبده 2004: 173-185.

³ راجع عن تاريخ تدمر: جرجي زيدان 1968: 98-108؛ توفيق برو 1982: 111-122؛ محمد بيومي مهران 1989: 533-560؛ رمضان عبده 2004: 185-194.

⁴ راجع أيضًا: لطفي عبد الوهاب 1990: 60؛ رمضان عبده 2004: 105.

وهكذا يتضح أنه سكن المنطقة من شرق دجلة إلى شاطئ البحر المتوسط عشائر سامية تقيم وترتحل، وينافس بعضها بعضاً على الرعي والمورد، كلما عضها الجوع، أو اندفع إليها من الجنوب وارد جديد، وكان السلطان الأكبر على هذه البطون للدولة التي كانت تقوم في بلاد الرافدين من أكديين، أو بابليين، أو آشوريين؛ لأن هذه البطون والعشائر كانت تقيم، وترحل في أراض لا تتفصل عن بقاع بلاد النهرين، وأحياناً دخلت بعض تلك الأراضي تحت سيطرة فراعنة وادي النيل، وقد اقتدى بعض أهالي تلك المنطقة بعبادات وعبادات أهل الرافدين، أو أهل وادي النيل، كما جاء بعضهم إلى مصر طلباً للتجارة، فاقتبس هؤلاء من عادات وعبادات المصريين الشيء الكثير.